

## ناصر قنديل

في المختصر المفيد هذا الأسبوع، قراءةٌ في الحرب على سورية، التي صارت المبادرة فيها بيدَ سورية وحلفائها للمرّة الأولى منذ انطلاقتها. ونواصل الرحلة في «حديث الجمعة» مع الصباحت الموجهة إلى حلب وتموز، وإلى كل من يعرف قيمة الصباح. ومن «قالت له» والجدال حول الغيرة، إلى الرياضيات تبعث في الكلام حكما ومأثورات، لنصل إلى مشاركات الأصدقاء والصديقات، وما كتبه في الحُب والوطن والسياسة.

### مختصر مفيد \*

## اجتماع طهران الثلاثي وخارطة طريق إقليمية للحرب والسياسة

بما تحتاج للدفاع عن نفسها، وربطت دفاعاتها بمراكز الإنذار المسبق للصواريخ الباليستية في سيبيريا بتوجه مباشر علني من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وتصرّفت إيران بالمثل فأعلنت أن ما يجري يخلط الأوراق في منطقة لجة ويعرضها لكل الاحتمالات، وأن إيران لن تتفرج على ما يجري في محيطها الحيوي، وما يخض سورية التي تشكل قاعدة المقاومة الرئيسية على حدود فلسطين. وأعلن حزب الله أنه سيتصرف على قاعدة اعتبار كل عدوان على سورية عدواناً «إسرائيلياً»، ويتصرّف على هذا الأساس. بينما أعدت سورية ما لديها كي لا يكون العدوان نزهة للأميركيين.

● عاد الأميركيون بأساطيلهم بعيدا ارتضوا حلًّا سياسياً للسلاح الكيماوي السوري، لم يكن أصلاً ضمن أهداف حملتهم، لكنه شكل تعويضاً يحفظ ماء الوجه لتبرير التراجع عن خيار الحرب. وتأكد الطابع التاريخي لما يجري بإقدام الأميركيين على المبادرة لاستئناف التفاوض على الملف النووي الإيراني في الشهر التالي لعودة الأساطيل، بعد توقفه سنة كاملة، وظهور بوادر توكّد وجود منهجية تفاوضية جديدة وجدية، توجت خلال سنة ونصف السنة بتوقيع التفاهم على هذا الملف بصورة حققت لإيران أهدافا صمدت لحمايتها طوال عقدين، تحمّلت خلالها العقوبات والحصار ومخاطر الحرب. بينما شهدت الشهور اللاحقة على الجبهة الروسية قبولاً غريباً بالتفاوضي عن ضمّ روسيا شبه جزيرة القرم وفتح مفاوضات مينسك للتوصل إلى اتفاق سياسي يراعي مقتضيات المصالح والتوازنات لروسيا والغرب في منتصف الطريق، وتوّج ذلك المسعى بنجاح المفاوضات وصوغ اتفاق يرضي ما تعتبره موسكو خطوطها الحمراء.

● انتقلت سورية مترسمة بنجاحات الحلفاء بتخطي أزمات وتحديات، وقد ترسملوا بصمودها، للانتقال إلى مرحلة جديدة شكل التموضع العسكري الروسي المباشر وما عُرف بالسياسات السوخوي» عنوانها الأبرز. وكما رفضت الإصغاء للمشككين بالحلفاء في الأيام والشهور الأولى للحرب وتصرّفت بثقة القادر على إدارة الصراع والإسماك بمفاتيحه، رفضت هذه المرة الإصغاء لصيحات التهليل بالنهاية السريعة للحرب وتمتّعت بميزتي الواقعية والصبر ذاتيها، اللتين تمتعت بهما من قبل، وهي تترك جيّدا التدرج والتعرج اللذين سيكتمان المداخلة العسكرية التي لن تصير حسما متدرجاً إلا بشروط ترتبط بحسابات وتوازنات، خصوصا بالنسبة إلى موسكو التي تدير حضورها العسكري في سورية، وستحرص على إدارته بما يتناسب مع تطلعها للعب دور الدولة العظمى من جهة، ويتوفّر مقتضيات تشكيل قواعد عالمية جديدة للحرب على الإرهاب تحت مظلة تعاون تظلله راية الأمم المتحدة من جهة أخرى.

● شكّل اجتماع وزراء الدفاع الروسي والسوري والإيراني محطة هامة في رسم خارطة الطريق للانتقال من مرحلة إلى مرحلة في هذه الحرب التي صارت المبادرة بغير بيد سورية وحلفائها للمرّة الأولى منذ انطلاقتها، وجاءت معارك حلب لتترجم هذه الخارطة، ومثلها ما استعمله زيارة وزير خارجية أميركا جون كيري إلى موسكو. وسورية وثقة وقادرة وجاهزة للتعامل مع كل الاحتمالات باليقين ذاته بصحة الخيارات والتحالفات، والصبر العظيم الذي ينتج وحده النصر العظيم.

**ناصر قنديل**

\*يُشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

## عشق الصباح

يسكب الوقت في محبرة الصبر، في الصباحت. يشتعل الشوق. يبني على كتف البحر، أجيء إليه كلما أوجعني الحنين. الجرح نازف على اتساع جغرافية الوطن. يهطل الندى في الفجر على شرفات الحبق. في وجعٍ وهج شمس مسكون بذاكرتي. كلماتي من جعر، محبرتي من عشق. أفتش عن أساطير قديمة، سؤالف من الحبّ لا تنتهي. «خليك» بردت فناجين القهوة، تبخّ وحنينٍ واثنين بوح. كتب، صحف، أوراق مبعثرة، بعض الحكايات تعطيني، وأخرى اكتنبا. هنا تشبك الدروب مع الدروب، والحقول مع الحقول. يلتقي المحنّون. «اعتبني الجفا»، عاتب عتب المحبّ وآني عتب؟ هنا تتساكن القلوب الملهوفة بالعشق. يا لحكايات البيوت الطينية. توقّف لحظةً أيها الليل، ثمة فسحة لتمطر السماء. أنت تحلم كيف تمطر السماء في تموز. في تموز يا وجه الفجع والمنثور والحبق، نواصل الحياة والأحلام!

**حسن ابراهيم الناصر**

## إلى متى؟

إلى متى أيّها القدر تعاندي؟
لم أعد أرغب بسماع أصوات البشر
وتجعل الهوموم على الدوام
تكايدني
آثرت الصمت كثيراً
والآلم في الصميم يهدني
ما من فصّح لكلامي
وما من أمل بذاك يعدني
سئمْتُ السخّذاع... سئمْتُ
التلقّ
يا من أيام الطفولة يرُدني
عبير فضّة

## ورد وشوك

عمت صباحاً أيها الورد.
قصّدتك كعادتي لألقف منك لمةً أرْتبها
بحبّ، أبعثُ بها لأحبّةٍ كنت قد اعتدت على تحنّيتهم.
تشاركتهم أفراحهم فتردّ بك جملاً وتلقاً، وتضفي على النفس بهجة تبعث
على الراحة والهدوء.
اليوم، وبصحبة منك، أوّدُ أن أهنيّهم بقدمي عيد فطرٍ كنّا نحسب
أنّنا معه سوف نطوي صفحات سطرها الحزن والأكم.
لكن خيبة أمل أصابت الجميع.
فالببوت ما زال يخيمٌ عليها شبح الشوق لغائبين
أبعدتهم نار الحقد، فصاروا في قلبٍ آخر على وجودهم فيه لا
يبحثون.

وما زال صقيع الحرب معشّشاً في كلّ الزوايا، على رغم حرّ صيف قاس شديد.
شعور بالحنين بلّمة الأحبّة حول موائد العيد وورش فناجين
القهوة المرّة التي كان على مرارتها يحلو شربها، وفق طقوس
يملؤها الهرج والمرج، بسعادة لبثها دامت على مرّ السنين.
مهدت يدي لألقف الوردة الأولى،
فإذ بدعها يتساقط قطرات ندى وكانها تمنّني أن أتركها على
غصنها تعيش عمرها القصير،
بين نخوة لها يحدهم الحنين ليكونوا في المواسم القادمة مرسال
وود واحترام وتقدير.

عنديّ، أدركت أنني بالورد لن أغيّر لدى أحبّتي حزنهم الدفين.
عدت لأكتب للغوالي تمنّياتي بحلول أيام تعيد للوطن أمنه وقلقه
من جديد، وتعيد لنا لذة الإحساس بكل ما هو مبهٍ رقيق وأنيق.

**رشا مارديني**

## حديث الجمعة



# لا مكان للتراجع

## صباحت

● حلب تنزف لكنّها تكتب التاريخ الجديد بالأحرف. وأحرف حلب دم ونور ونار وصوغ لمعادلاتٍ أكبر حجماً وأوسع مدى،
وها أقدام المقاومين والجنود تحفر في التراب عميقاً بصمة التاريخ الجديد. والحديث عن الهدنة عمل سياسي لا إخلاءً للميدان ولا توقفاً عن القتال والرّد على النار، بل إعلان نوايا للعالم أنّنا جاهزون للتوقف لساعات إن امتنعوا عن السعي إلى تحسين مواقعهم وإمدادها
والهدنة هذه الأيام بلا معنى، لأن الهدنة مع تصرّفات المسلّحين صارت بلا معنى. فلم ولن يُتركوا يستغلّون أحكامها في الحرب بلا ردّ مناسب، والألم للجرارات مشروع، لكنها هذه المرة ليست نزفاً بلا مقابل، بل ثمن تحرير تراب وتحقيق تقدّم وإطباق حصار، فالقصف حال جنون الذين بقوا في الأفخاخ وصاروا في الأقفاص. وفي النتيجة حلب تنزف وتدمع لكنّها، لأنها حلب، تعرف أن الحقوق من دون الدم والدموع لا ترجع.

● نصف جمال عيد الفطر هذه السنة أنّ غالبية الذين يقاتلون لأجل الكرامة والعزّة من جيوش الأمة ومقاومتها كانوا صياماً، والعيد كان لهم ومعهم وبهم.
● يا تموز، من أيّ عجين تأتي أيامك بالذكريات؟ فيك رحل أحيّة وفيك تخلد ذكر عظمة، وفيك الحرب التي غيرت وجه التاريخ. معك بدأتنا بيوم القدس الذي صارت لفلسطين فيه معان للحرب النفسية بحسود تهتف بالموث لـ«إسرائيل»، تكبر يوماً بعد يوم على رغم تخاذل المتخاذلين ونفاق المنافقين، وتلته ذكرى رحيل المفكر والأديب المقاوم غسان كنفاني، وذكرى رحيل المرجع الفكري والفقهّي السيد محمد حسين فضل الله، فغياب الزعيم القومي أنطون سعادة. وها هي ذكرى حرب المقاومة ونصرها مكّلة بالغار. تلك كلها ذكريات العزّ فيك ومعك ووفقات تاريخ مفعم بعيق الفكر والمقاومة والبطولة، وصباحتاتك محرقة لشدة إشراقها...
فإلى حلب حيث يفرغ التاريخ ما في جعبته لتصير حقائق على صحائف الجغرافيا بصفائح العزّ والكرامة.

● إذا أحسست بالصيق والتدمّر فاسأل عن درجة حرارة الطقس قبل أن تبدأ نهارك بالسليبية مع أصدقاتك. فقد يكون الشعور بالحُرّ سبب الصيق وتدم... قبل غالباً ما يختصم الحاقن والحابق والراكب. فكلّ منهم على عجلة، وأحد تأخر عن قضاء حاجة، وآخر ضاق حذاؤه على قدمه، وثالث يهّم بالوصول. فكيف إن كانت رؤوسهم عارية تحت حرارة الشمس؟

● العطر المخزون في أوفننا يسترجع أنفاسه مع التذكّر. فإن أحسست رائحة فوح في ثنايا الرثتين، إلا أعلم أن طيف حبيبٍ أو مرآجاً خصبياً قد مرّ بخيالك، وتمهل قبل أن تطوي الصفحة. فنك أطيّب من العطور بذاتها، لأنها خليط جمالين والعطر جمال أحد.

● كيف يصير الغضب والحلم على القضايا ذاتها واللغة ذاتها إن لم يكن الإنسان وصولياً مصليحاً، إلا إذا كان الاستثناء يخصّ حبيباً نجد له الأعداء دائماً.

● إسقاط الأمنيات على الواقع يتم بطريقتين، واحدة تفهم الواقع وتمارس عنادها لنيل الأمنيات، وواحدة تتلاعب برؤية الواقع وتجعله أقرب إلى الأمنيات. فالأولى فعل الثوّار والثانية فعل الكسالى، أو الأولى فعل العشاق والثانية فعل الوصوليين.

## قالت له

قالت له: هلاً تساعدني في فهم شيفرة الحبّ، كيف نجمع بين أوصاف الحبيب في دواخلنا بصفته الأجلل والأنقى والأعقل، وفي لحظة الغيرة يصير الأbesch والأندل والأغبي؟ فهل نحن مزاجيون وانتقائيون إلى هذا الحدّ؟

فقال لها: إن الغضب يحتل في جهازنا العصبي نقطة الشوق والقيح والجمال كأوصاف تطلقها ليست تقييمات يعيّمها العقل إلا لمن لا مشاعر تربطنا معه. أما في حال الشعور، فهي مزاج وليست أوصافاً. والمزاج ملتبس بين الشوق والغضب يذهب بالتطرّف ذات اليمين وذات الشمال. فمن يملك لحظة تنفس قبل الحكم يفوز بالتحكم.

ومن يقع في التسرّع يحكمه.

فقالت له: وأنت، هل تشاركتني هذا المرض؟

فقال: أنا أحبّ أن تكوني المرأة التي تراني اختزلاً لكل الرجال، ولا تصدق عني أيّ قول يقال لو جاءها من وسواس النفس أو من وسواس خناس أو من فاسق جاء بنياً قبل أن تتبينوا. ولكنها تملك قدرة الاستغناء والثقة بالقوّة حتى تقول معك ومن دونك سابقى أنا، وستخسريني مثلماً أخسرك. وربما تكتشف بعدي كم خسرت. ولا يحزنني أن أكتشف خسارتي، لأنني لم أبدأ لعبة الافتراق والشكوك.

فقالت: ما تريد حلم مستحيل. فالمرأة مفطورة على الأنا والتفدّر. والرجل مفطور على التعتدّ.

فقال لها: ولما يهب الرجل قلبه لامرأة هل يصير أنثى؟ أم يصير شبه إله؟ أم يجب أن يطعن بالمشك؟ لأن العادة أنّ الرجال للتعدّد.

فقالت: وكيف تصون المرأة حبّها وحبيبها؟

فقال لها: بأن تبقى من يجدر بها أن يحبّها، وألا يحبّ سواها. وكل كلام في غير الفرح والحبّ يسقطها بداء النقصان بدلا من أن يمنحها صك الغفران. فالعلاء جيون الحبّ ما قدرّ لهم، ويرتضون نفاذ ذخيرته بسكينة، لكنهم لا يستذلّون اهتلاكه بالسجال والجدال. فيقتصر عمره وتهتكت عذرية الكلام بينهما وتسقط مهابة كليهما، ويستسهل الواحد في الآخر روح الصعينة، وتصير أمسياتهم وصباحتهم الفرحة حزينة، ويستصعب الواحد في الثاني الاعتذار، لأن الناس يستسيغون ما يسؤونه الكبرياء، وهو استكبار. ويضع ليل ويجيء نهار، ويموت ما كان مقدّراً له أن يحيا لسنوات طوال في غفلة البال. فهل تعلمنا التفاضلي والثقة بأن الحاضر أهمّ من الماضي؟

فقالت له: ما تقولو خفيّيني كأنك تخفي سقطة وخيانة، أزيد اعترافك الآن فيكفيّني من كلام ما أحسسته من مهانة. هلا اعترفت أو تركتني بحالي، ما كنت أدري أنك لا تتبالي.

فهزّ رأسه وقال: يا لويلات الحبّ وعداوة العقل! نعم، لقد مرّت في حياتي أمسيات وصباحت ولم أكن قد رأيت عينيك وبريق الفجر فيهما، ولا شفتيك وريح الفجر يروح الضجر من تداניהما، وبفوح الطيب من تلاقيهما. فتأرجحت على كتفيّ وقالت: سماح على كلّ ما مضى وراح. خذ بيدي واقترب عندي واشبك زندك بزندي، ولنفرح الآن، لدينا مسافة طويلة قبل بلوغ المفترق لأحقق بهدوء وبرود في ما قلته عن امرأة ثانية في لحظة شرود... لا تظنّني نسيت... سأعود.

## رياضيات في الكلام

● الإنصاف ألاّ تقبل لسواك ما لا ترضاه لنفسك، وأن تعامل بمقاييس تطلب أن تعامل بها فعل علق لا فعل أخلاق. ولا يدان من يفقدونه ما لم يتذبّوا على القبول والرفض بقوّة العقل لا بقوّة العادة.

● المسارات الصالحة باتجاه الذهاب قد لا تصلح لطريق الإياب، كالانتقال من الصداقة إلى الحبّ أو الانتقال من السلام للحرب، أو من الشباب للشيوخة.

● السكنينة والحبّ عدوانٌ يقتل أحدهما الآخر، ومن نَعِمَ بهما معاً مخلوق نادر.



**رانيا الصوص**